الاستعمار الاستيطاني استعمار بريطانيا لجنوب أفريقيا أنموذجاً

م.د. فادية جمعة اسماعيل العبادي

مديرية تربية الرصافة الثانية

Settler Colonialism (British colonization of South Africa as a model)

M.D. Fadia Jumaa Ismail Al-Abadi
Rusafa Second Education Directorate

Abstract

Settler colonialism is considered one of the most dangerous types of colonialism, this colonialism was used in ancient and modern times and throughout the ages, this colonialism is based on seizing the land and turning it into a colony, it exploits the population, then uproots them from their lands by killing at times and displacing at other times, while exploiting the land economically.

The research consists of an introduction and three sections, the first topic deals with the concept of settler colonialism, the beginning of the British presence in Africa, the role of marine exploration operations in settler colonialism, the industrial coup and its role in the European colonization of Africa, the second topic sheds light on the Dutch and British colonization of South Africa, starting with the European discovery of South Africa, then European settlement in the region, up to the British-Boer conflict in South Africa, and the third and final topic deals with the economic and social consequences of British settlement in South Africa, the role of the South African Company in consolidating British colonial influence, and the economic and social consequences of settler colonialism.

المقدمة

يعتبر الأستعمار الأستيطاني من أخطر انواع الأستعمار ، فقد استخدم هذا الاستعمار قديماً وحديثاً وعلى مر العصور ، فهذا الأستعمار يقوم على أساس الاستيلاء على الأرض ويحولها الى مستعمرة ويقوم باستغلال السكان ، ثم يقوم بإقتلاعهم من اراضيهم بالقتل تارة والتشريد تارة أُخرى، مع استغلال الارض اقتصادياً ، وخير دليل على الاستعمار الاستيطاني هو ما قامت به بريطانيا من استعمار استطاني في امريكا واستراليا وجنوب افريقيا ، ولم تكن بريطانيا وحدها من استخدمت ذلك النوع من الاستعمار ، اذ قامت الدول الاوربية مثل فرنسا واسبانيا والبرتغال وغيرها بتبني الخاصية نفسها في استعمار الاراضي لتحولها إلى اراض تابعة لها .

يسلط البحث الضوء على جنوب افريقيا كنموذج للاستعمار الاستيطاني ، فقامت البرتغال بأكتشاف جنوب افريقيا لتمهد الطريق للهولنيين اولاً بأستعمارها ، واستيطان المنطقة ، لتتمكن بريطانيا فيما بعد من استعمار واستيطان المنطقة دون منازع ، يتكون البحث من مقدمة وثلاث مباحث ، يتناول المبحث الاول ، مفهوم الأستعمار الاستيطاني، وبداية الوجود البريطاني في افريقيا ، ودورعمليات الكشف البحري في الاستعمار الاستيطاني والانقلاب الصناعي ، ودوره في الأستعمار الأوروبي لأفريقيا .

ويسلط المبحث الثاني الضوء على الاستعمار الهولندي والبريطاني لجنوب افريقيا بدءاً من الاكتشاف الاوروبي لجنوب افريقيا ، ثم الاستيطان الاوروبي في المنطقة حتى الصراع البريطاني – البويري في جنوب افريقيا وجنوب افريقيا بعد الحربين العالميتين .

يتطرق المبحث الثالث والاخير على النتائج الاقتصادية والاجتماعية للاستيطان البريطاني في جنوب افريقيا ، ودور شركة جنوب افريقيا في ترسيخ النفوذ الاستعماري البريطاني ، والنتائج الاقتصادية والاجتماعية للاستعمار الاستيطاني.

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر العربية والاجنبية المترجمة والرسائل والاطاريح والبحوث المنشورة ، فمن المصادر العربية اعتمد البحث على عدة مصادر يأتي في مقدمتها ، الاستعمار (اشكاله تطوراته اساليبه) للاستاذ الدكتورهاشم صالح التكريتي، وكتاب افريقيا بين الدول الاوروبية للمؤلف محمد صفي الدين ، واستعمار افريقيا لزاهر رياض .، ومن المصادر المترجمة اعتمد البحث على كتاب الحرب والتقدم البشري (دراسة في نشأة الحضارة الصناعية) ، للمؤلف جون نيف ، الجزء الثاني .

الملخص

يُعتبر الاستعمار الاستيطاني من أخطر انواع الأستعمار ، فقد استخدم هذا الاستعمار قديماً وحديثاً وعلى مر العصور ، فهذا الاستعمار يقوم على اساس الاستيلاء على الأرض ويحولها الى مستعمرة ويقوم بإستغلال السكان ، ثم يقوم باقتلاعهم من أراضيهم بالقتل تارة والتشريد تارة أُخرى ، مع استغلال الأرض اقتصادياً.

يتكون البحث من مقدمة وثلاث مباحث ، يتناول المبحث الأول ، مفهوم الاستعمار الإستيطاني، وبداية الوجود البريطاني في افريقيا ، ودورعمليات الكشف البحري في الاستعمار الاستيطاني_والانقلاب الصناعي ودوره في الاستعمار الأوروبي لافريقيا ، يسلط المبحث الثاني الضوء على الإستعمار الهولندي والبريطاني لجنوب افريقيا بدءاً من الإكتشاف الاوروبي لجنوب افريقيا ، ثم الإستيطان الأوروبي في المنطقة حتى الصراع البريطاني – البويري في جنوب افريقيا ، ويتطرق المبحث الثالث والأخير على النتائج الاقتصادية والاجتماعية للإستيطان البريطاني في جنوب افريقيا ، ودور شركة جنوب افريقيا في ترسيخ النفوذ الاستعماري البريطاني ، والنتائج الاقتصادية والاجتماعية للاستعمار الاستيطاني .

الاستعمار الاستيطاني

إستعمار بريطانيا لجنوب افريقيا انموذجاً

المبحث الاول

الأستعمار الأستيطاني وبداية الوجود البريطاني في افريقيا

اولاً :- مفهوم الاستعمار الاستيطاني :-

اشتقت كلمة الأستعمار الأستيطاني (coloization) من الكلمة اللاتينية (colnia) ، والتي تعني إستيطان او أسكان ، وهو نزوح السكان من منطقة او بلد معين إلى منطقة أخرى او بلد آخر ، وتأسيسهم لمستوطنات جديدة هناك واستغلالهم للأرض الجديدة ، وهو بهذا المعنى موجود في كل العصور (القديمة والوسطى والحديثة) ، وهناك الكثير من الأمثلة عليه سواء في العصور القديمة ، كالمستعمرات الفينيقية واليونانية والرومانية التي كانت اما مستقلة عن المتربول ، او أن سكانها يعيشون في الوضع نفسه الذي كان يعيشه سكان المتربول ، ومن الامثلة على الإستعمار الاستيطاني في العصور الوسطى ، هجرات القبائل الجرمانية في اوروبا ، وهجرة الفلاحين الاقنان هرباً من الأقطاع ، ومن الأمثلة الاخرى الحروب الصليبية التي هي في الواقع مشاريع استيطانية اوروبية في الوطن العربي ، ويتوضح الإستعمار الاستيطاني في العصور الحديثة من خلال اقامة المستعمرات الاستيطانية في المناطق الجديدة التي نزحوا إليها ، وغالباً ماتصبح مستعرات خاضعة بالمعنى الكولينالي للبلد الذي قدم منه مؤسسوها ، ومن الامثلة المستعمرات التي اقامها الاوربيون في امريكا ، والاستعمار الاستيطاني الانكليزي في استراليا ونيوزلندا والانكليز والهولنديون في جنوب افريقيا، وجرت تلك العملية من خلال هجوم واسع شنه القادمون الجدد على سكان البلاد الاصليين ، ونتج عنها قتل ابناء البلاد الاصليون ، وابعاد الأعداد القليلة جداً التي بقيت منهم الى أراض غير صالحة ، والإستيلاء على أراضيهم[١].

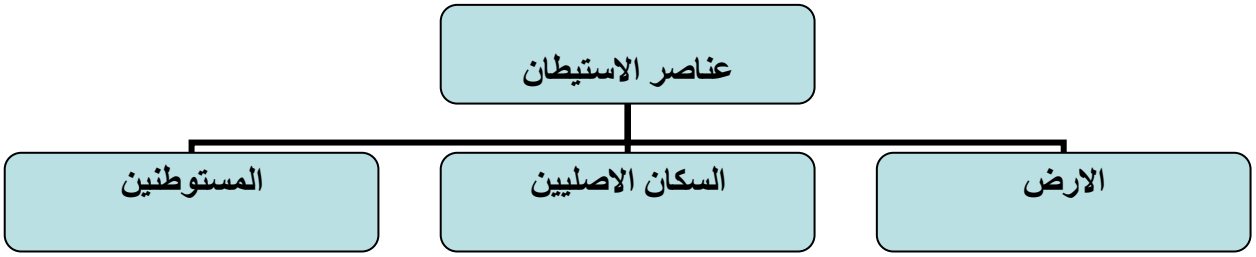

عمل الاستعمار الأستيطاني على استباحة الارض في كل من جنوب إفريقيا وامريكا واستراليا ، واصبح القادمون إليها من الخارج واحفادهم يمثلون الغالبية العظمى ، كما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية ، وبالمقابل تضاءل السكان الاصليون ، وكادوا يعدمون في مواطنهم [٢].

امتاز الأستعمارالأوروبي لافريقيا ، بصفة عامة ، في بدايته بالتشتت وعدم التركيز وكانت هذه الحقيقة واضحة في المناطق المعتدلة من القارة الافريقية التي استعمرتها العناصر البيضاء والمستعمرات البريطانية خير مثال على ذلك ، ويظهر ذلك في المستعمرات المدارية ذات الإستعمار الاقتصادي ، ويتم استغلال المناطق المستعمرة استغلالاً تاماً عن طريق التخصص وتقسيم العمل المنظم ، فأستغلت المناطق الحارة اولاً في تجارة الرقيق والعاج والتوابل ، وأدت الحاجة الى العاج ، للتوغل في وسط افريقيا والتوسع في عمليات صيد الفيلة ، ثم ظهرت الحاجة إلى الزيوت النباتية و المطاط الطبيعي واخشاب المناطق الحارة والمعادن النفيسة مثل الذهب ، وبمجرد الحصول على وسائل المواصلات في كل مستعمرة ، امكن استخدام نوعين من المعادن الثمينة ، او حتى نوع او نوعين من المحاصيل النقدية [٣].

اما بالنسبة للصناعة في المناطق المستعمرة ، فتعتمد على نفس العوامل ألتي تعتمد عليها الصناعة في أي مكان أخر ، اهمها الحصول على الوقود او القرب منها والمواد الخام واليد العاملة ورأس المال ونقل مناسب [٤] .

ثانياً :- دورعمليات الكشف البحري في الاستعمار الاستيطاني

كانت البرتغال أول الدول الاستعمارية الأوروبية التي بدأت حركة الكشوفات الجغرافية ، ولمدة نصف قرن قامت برحلات استكشافية لايجاد طرق بحرية ، للتخلص من الوسيط العثماني والوصول الى الهند والوصول الى حريرها وبهاراتها ومعادنها ، والتي هي مفتاح السوق الأوروبية ، وكانت الخطة تعتمد على اكتشاف الساحل الغربي لافريقيا ، وحاول المكستشفون الوصول الى طريق يربطهم بالهند ماراً برأس الرجاء الصالح ، وبعد اكتشاف طريق الهند أدى الى تغيير طريق التجارة العمالية تغيراً جذرياً من كل الجوانب ، وكان الهدف الديني هو أحد الاهداف لرحلاتهم تلك ، للثأر من المسلمين الذين حكموا اسبانيا مدة طويلة وكذلك اهتمامهم بذهب غرب افريقيا فقد كانت اوروبا بحاجة الى المعادن الثمينة ، بعد أن عانت نقصاً حاداً وبحاجة ماسة لها [٥] .

بدأ الاحتكاك بين البرتغاليين والقارة الافريقية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر بهدف الحصول على مايلزم سفنهم من مياه ومؤن اثناء محاملتها الوصول الى الشرق [٦] ، وبرزت الحاجة للأيدي العاملة للعمل في المناجم ، وكذلك الحمالين الذين يحملون السلع التجارية ، واقتصرت التجارة على الذهب والعاج والفلفل وغيرها ، حتى ظهرت تجارة الرقيق على مسرح التجارة العالمية في اوائل القرن السادس عشر، بعد أن احضر

هنري الملاح بعض تراب الذهب ، وعشرة من الرجال الافارقة في رحلته الاولى الى سواحل افريقيا ، بحجة أنه اراد تعليمهم المسيحية ، إلا أنه باعهم ورجع إلى افريقيا ليطلب المزيد [٧] .

افتتحت البرتغال تجارة الرقيق في القارة الافريقية ، واقام البرتغاليون في سواحل افريقيا المحطات التجارية الى تزود البرتغال بالعبيد ، ولم يكتف البرتغاليون بالعبيد المجلوبيين من السواحل ، بل توغلوا الى داخل القارة الأفريقية وصولاً الى الكونغو ، ثم إلى انغولا ، والتي اصبحت المصدر الرئيس لتجارة الرقيق ، والتي لقبت بالأم السوداء ، إشارة لشهرتها في تجارة الرقيق [٨] ، وكان البرتغاليون المتوجهون إلى الهند ، يتوقفون في افريقيا الغربية في القرن السادس عشر ، ولم يكن رأس لرجاء الصالح مكاناً مناسباً للتوقف فيه ، بينما فضلت السفن الهولندية والبريطانية ، التي حلت محل السفن البرتغالية ، التوقف في منطقة الرأس ، للتزود بالمؤونة ، واحتلت شركة الهند الشرقية الهولندية جزيرة سنت هيلانة بين عامي ١٦١٧ و ١٦٤٥ ، بينما توقفت السفن الانكليزية في جنوب افريقيا سعياً وراء الماء والغذاء [٩] .

زاد الطلب على الرقيق بعد اكتشاف القارة الامريكية ، ولم يقتصر الأمر على البرتغاليين ، بل تهيئت انكلترا وهولندا وفرنسا وغيرها مطلع القرن السابع عشر ، لأقامة مراكز تجارية بالسواحل الأفريقية ، لمنافسة الاسبان والبرتغاليين في تجارة الرقيق ، ونقله الى المستعمرات الامريكية [١٠] ، وأدت بريطانيا دوراً كبيراً في تجارة الرقيق ، إذ تقوم السفن البريطانية التي تنطلق من بريستول ولندن محملة بالانسجة والادوات الحديدية ، وتصل الى الساحل الأفريقي ، حيث تستبدل سلعها وتعيد شحنها بالرقيق ، ثم تصل الى السواحل الامريكية ، وتبيع العبيد هناك ، وتشتري السكر ومشروب الروم والقطن فيما بعد ، ليعودوا مرة أخرى إلى بريطانيا[١١]، وبرزت عدة شركات بريطانية تعمل في تجارة الرقيق ، منها شركة وليام وماري الانكليزية ، وشركة البحر الجنوبي البريطانية ، والشركة البريطانية لتجارة ونقل العبيد من غرب افريقيا [١٢].

تقاسم البرتغاليون والهولنديون والدانماركيون والسويديون والبريطانيون ساحل غانا في غرب افريقيا ، واحتكرت كل دولة مناطق معينة لاتشاركها فيها قوى أخرى ، وبدأ نشاط الانكليز في غرب افريقيا عن طريق شركة The company of Royal ADventures of England trading in Africa ، التي تأسست عام ١٦٦٢ ، وكان اعضاؤها من الاثرياء الرأسماليون ، الذين عقدوا اتفاقيات كثيرة مع ملك اسبانيا ، لتزويد مستعمراتهم في جزر الهند الغربية بكل حاجتها من الرقيق ، وتعهدوا في هذه الاتفاقيات بتصدير (١٤٤) الفاً من العبيد خلال (٣٠) عاماً ، واحتكرت الشركة تصدير العبيد الى امريكا حتى عام ١٨٠٧، إذ أُلغيت تجارة العبيد في بريطانيا ، وبلغ عدد الرقيق الذين حملتهم السفن البريطانية من افريقيا إلى مستعمراتهم ومستعمرات اسبانيا وفرنسا للقارة الأمريكية في الفترة من عام ١٦٦٦ ، الى عام ١٧٦٦ ، نحو ثلاثة ملايين افريقي اي بمعدل (٧٠) ألفاً في العام ، وكانت تقوم بنقل الرقيق آنذاك (٩٢١) سفينة، وبلغ ثمن مانقلته خلال عشرة اعوام (١٥١٨٦٨٥٠)

جنيه استرليني ، ومكنت الأرباح الضخمة التي جنتها بريطانيا من تجارة الرقيق ، القيام بثورتها الصناعية في القرن الثامن عشر، الصناعة بين الدول الأخرى ، وجعلت من بريستول ثاني مدن بريطانيا خلال القرن المصادر الى عدد الرقيق المنقول بواسطة الشركات الاجنبية خلال الفترة (١٧٠٠ الآتي[١٤] :-

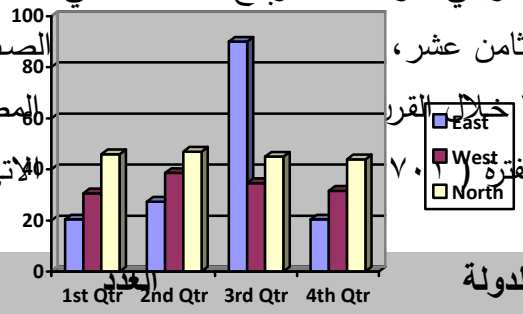

الدولة	العدد
إنكلترا	٢,٥٣٢,٣٠٠
البرتغال	١,٧٩٦,٣٠٠
فرنسا	١,١٨٠,٣٠٠
هولندا	٣٥٠,٩٠٠
امريكا الشمالية	١٩٤,٢٠٠
الدانمارك	٧٣,٩٠٠
السويد ودول اخرى	٥,٠٠٠
المجموع	٦,١٣٢,٩٠٠

ولنا أن نذكر ماهي الأسباب التي حالت دون مقاومة الأفريقيين لهذه التجارة ، ويمكن اجمالها بالأسباب الآتية :

١- كان غرب افريقيا مقسم إلى دويلات صغيرة تمثل ما تخلف عن الامبراطوريات الكبيرة ، وكان المنتصرون يتخلون عن اسراهم ببيعهم إلى تجار الرقيق .

٢- الهجمات المسلحة بالاسلحة الحديثة على الدويلات الافريقية .

٣- التنازع فيما بين السكان الأفارقة على الأرض ، وللتخلص من منافسة الأخر ، يلجأ هولاء لطلب المساعدة من تجار الرقيق .

٤- هزت عمليات الخطف للأتجار بالرقيق ، النظام الاجتماعي و الإقتصادي للافريقيين فهجروا أرضهم الزراعية ، وتدهورت المدن ، وزال مجدها ، وتفككت الروابط القبلية ، بعد أن هاجر اكثر الاهالي إلى الكهوف والجبال [١٥]، وجعلت تلك الأسباب الأفارقة صيداً سهلاً لتجار الرقيق .

ثالثاً :- دور الأنقلاب الصناعي في الأستعمار الاوروبي لأفريقيا

ظهر في انكلترا مفهوم الثورة الصناعية ، وهذا المفهوم هو وليد الثورة الصناعية التي بدأت في منتصف القرن الثامن عشر، وطبقاً للمعنى السائد ، فإن المصطلح يشير الى سلسلة الاختراعات التقنية التي حدثت على

نحو متواتر في بريطانيا العظمى ، لتحول الأساليب الصناعية من العمل اليدوي ، إلى استخدام الآلة [١٦] ، ويعتبر الأنقلاب الصناعي المسؤول الأول عن الأستعمار الأوروبي لأفريقيا ، وأدى استخدام البخار في وسائل النقل الداخلي والخارجي الى تقريب المسافات ، وسهولة نقل السلع التجارية من اوروبا الى خارجها وبين دول القارة ، ورُبطت الموانئ بالمناطق الصناعية واماكن المواد الخام ، مما ساعد على خلق متطلبات جديدة لسلع جديدة ، مع زيادة كميات المواد الأولية المطلوبة في الاسواق اللازمة لاستيعاب الانتاج الكبير ، وساعد على خلق ثورة تجارية أدت الى تعديل قيمة البضائع والسلع المتبادلة ، وأدت الثورة الصناعية الى أمور اقترنت بالعزة القومية في خلق الروح الاستعمارية [١٧]، ولتتركز الصناعة في المناجم والمصانع الكبيرة ، ولتساعد في إحداث زيادة لم يسبق لها مثيل في الإنتاج الصناعي والنمو السكاني ، وبحلول عام ١٨٣٢ ، حدثت معظم التغييرات التي كونت فيما بعد المقومات الاساسية لأزدهار الحضارة الصناعية المعاصرة [١٨].

كانت انكلترا وويلز في حدود عام ١٧٢٠ ، تنتجان (٢٥) الف طن من سبائك الحديد الخام ، و (١٨٠٠٠) طن من قضبان الحديد ، التى كانت تصنع من سبائك الحديد الخام ، وكانت لوفرة الحديد والفحم أهمية كبيرة في عملية التصنيع في اوروبا وأمريكا الشمالية ، وكذلك ازدادت المصانع في انكلترا عام ١٧٨٥ ، ليصل الى العشرات ، اما التجارة فحددت قيمتها عام ١٧٢٠ ، بحدود ثلاثة ملايين جنيه إسترليني سنوياً ، وحوالي (٢٩) مليون جنيه إسترليني عام ١٧٧٤ [١٩].

تضاعفت التجارة البريطانية مرة واحدة في فترة الثمانين عاماً الأولى من القرن الثامن عشر ١٧٠٠-١٧٨٠ ، بينما تضاعفت ثلاث مرات في العشرين عاماً التي اعقبت ذلك ، علماً بان أتجاه التجارة البريطانية أخذ يتحول عن اوروبا القارية ، بأتجاه التجارة مع المستعمرات، وفي ضوء ذلك، فأن نتيجة هذه السياسة تجاه الدول المستعمرة(النامية) أن اصبح (٣٠) بلداً تقريبا ، من أصل (٨٠) من البلدان النامية ، تحصل على نصف موردها من العملة الصعبة من تصدير محصول واحد فقط ، في حين يحصل كثير من البلدان على عملاتهم من خلال تصدير محصولين[٢٠].

تزايدت أعداد السكان في انكلترا بسرعة كبيرة جداً ، واستناداً إلى الاحصائيات فان عدد سكان ويلز في عام ١٧٢٠، تجاوز ستة ملايين ، وازداد العدد عام ١٧٩٠، ليصل قرابة (٨,٢) ملايين نسمة ، كما شهدت اوروبا الغربية وامريكا مطلع القرن الثامن عشر كثافة سكانية عالية ، ووصل العدد من اكثر من مائة مليون تقريباً ، الى سبعمائة مليون وبدأت هذه الزيادة في آن واحد في كل من فرنسا و انكلترا و اسبانيا وألمانيا ، وعمت اوروبا كلها تقريباً زيادة سريعة في التقدم الصناعي في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الثامن عشر ، وكانت امريكا ذات الكثافة السكانية القليلة ، فان معدل النمو يزيد على مثيله في اوروبا المكتظة بالسكان ، وكذلك شهدت المناطق اكتظاظاً بالسكان ، وانحسار المناطق

المزروعة ، واضمحلال الفرص المتاحة امام عوائل العمال والكسبة في الزراعة وتربية الحيوانات ، وقلة مداخيل العمال ، مع ارتفاع الأسعار ، وغالبية السكان ازدادوا فقراً ، في حين زادت دخولات كل من التجار واصحاب الحوانيت وجميع الاشخاص الذين يشغلون الكسبة ، ونستنتج أن المجتمع كان في حالة الاتجاه على المزيد من الثروات ، وتشير الأرقام الخاصة بالتجارة الخارجية أن الزيادة الكبيرة في سرعة النمو التجاري وقعت في تلك المدة نفسها ، فلم يزد حجم الاستيرادات البريطانية في السبعينيات من القرن الثامن عشر على (٤٠%) مما كان عليه في القرن الماضي، أما في الثمانينات فقد ازدادت هذه الاستيرادات أكثر من (٣٠٠%) ، ثم تصاعدت استيرادات بريطانيا بمقدار ثلاثة أضعاف تقريباً في التسعينات ، وفي عام ١٧٩٨، أشار توماس روبرت مالتوس Thomas Robert Malthus ، في كتابه المعروف (مقالة في مبادئ السكان) ، إلى تحول هائل في معدل زيادة سكان بريطانيا، وعكس ذلك التحول مخاوف مالتوس ، من أن عدد السكان سيتجاوز بسرعة موارد العيش ، ولم يكن في شك ، في أن سكان بريطانيا كان في حالة إزدياد مستمر[٢١].

ازداد إنتاج بريطانيا من الحديد قرابة الضعف بين عامي١٧٨٥و١٧٩٧ ، ثم ازداد ضعفين تقريباً في السنوات الثمان اللاحقة ، ليصل في عام ١٨٠٥ إلى (٢٥٠،٠٠٠) طن ، وربما وصل في عام ١٨٤٠ – ١٨٤١ ، إلى (١،٥٠٠،٠٠٠) طن ، أي ما يعادل زيادة قدرها (٢٠) مرة في غضون نصف قرن ، وفي التسعينات زاد الإنتاج الصناعي في بريطانيا بمعدل(٣١،٤٤%) ، عما كان عليه في الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وتحققت زيادة بمعدل (٣٥،٦%) ، بين عامي ١٨٠٠ و١٨٥٩ ، إلا أن معدل الزيادة في العقد الواحد انخفض إلى (٢١،٥%) ، بين عامي ١٨٦٠و١٩١٩، وهكذا استمرت الفترة التي حددت خلالها بريطانيا سرعة التقدم بالنسبة إلى أوروبا والعالم من حدود عام ١٧٨٥ ، إلى حدود عام ١٨٦٠ ، ومثلت تلك الفترة سباقاً من أجل تحقيق الدولة الصناعية [٢٢].

أدى التطور الاقتصادي الهائل الذي أعقب الثورة الصناعية ، وتبلور أسس النظام الرأسمالي ، إلى تحديد مسيرة السياسة الخارجية للدول الأوروبية، واحتدام المنافسات فيما بينها للاستيلاء على المستعمرات ، لتصدير فائض منتوجاتها، واستيراد المواد الأولية اللازمة للصناعة ، واستثمار رؤوس الأموال التي كانت تدر عليها ارباحاً طائلة، وتأتي بريطانيا في مقدمة دول العالم التي تشابكت علاقاتها التجارية ،كونها الدولة الأولى التي ظهرت فيها الثورة الصناعية وتطور فيها الإنتاج ونمت فيها الرأسمالية ، بحيث حققت بريطانيا نجاحات كبيرة في تطورها الصناعي ، وللدلالة على تفوقها نذكر أن انتاجها من الفحم والحديد وهما من المواد الأساسية اللازمة للصناعة الثقيلة، قد شكل(٥٠ %)من الإنتاج العالمي عام ١٨٧٢، كما وصلت نسبة التجارة البريطانية إلى ثلثي التجارة العالمية [٢٣].

أدت الاستثمارات الخارجية إلى تشجيع التدخل الاستعماري، اذ تحت ذريعة حماية الاستثمارات في البلدان الأخرى، قامت بريطانيا بإحتلال العديد منها، كما سعت في الوقت ذاته إلى استعمار بلدان أخرى في سبيل استثمار رؤوس أموالها [٢٤].

كانت الثورة الصناعية التي قامت في بريطانيا هي صاحبة النصيب الأكبر من مسؤولية استعمار أفريقيا بواسطة الدول الأوروبية ، فقد أدى تراكم رؤوس الأموال غير المستثمرة في بريطانيا ، إلى الرغبة في استثمارها، لاسيما اتساع الأسواق أمام الشركات التجارية بعد عام ١٧٦٠، ولاشك أن الظروف السائدة في قارة أفريقيا كانت تشجع على الإستعمار ويمكن أن نوجز هذه الظروف بالآتي[٢٥]:

١. ثروة إفريقيا من المواد الخام وتعدد حاصلاتها التي كانت أوروبا محرومة منها .
٢. بُعد اهالي إفريقيا عن تيار الثقافة الفكرية مما جعل مستواهم الحضاري دون مستوى المستعمرين.
٣. الطبيعة القاسية التي خضعت لها قارة أفريقيا من حيث قسوة المناخ وكثافة الغابات وانتشار الأمراض ، مما أدى إلى خضوع الأهالي لظروف معيشية خاصة وأدى إلى تراكم هذه الثروة دون الاستفادة منها إلى الحد الذي يكفل لأهلها مستوى اجتماعياً راقياً.

شهدت المصالح البريطانية مطلع القرن التاسع عشر تحولاً نوعياً كبيراً اتجاه افريقيا، اذ أدت التجارة والأهمية الاستراتيجية الى اتصال البريطانيين بأفريقيا لأول مرة في العصر الحديث، لاسيما أنهم هم الذين بادورا بالأتصال، بفعل عوامل عديدة اهمها، النتائج التي ترتبت على الغزو الفرنسي غير المتوقع لمصر (١٧٩٨-١٨٠١)، الذي حمل تهديداً خطيراً للمصالح التجارية البريطانية في الشرق، إذ كانت الخطط الفرنسية لتلك الحملة تستهدف تحويل مصر إلى مستعمرة فرنسية، وقاعدة للتوسع في البحر الاحمر للزحف الى الهند، والتصدي للسفن والتجارة البريطانية الواقعة في البحر الاحمر والمحيط الهندي[٢٦].

يمكن تحديد دوافع الاستعمار البريطاني ، على وفق ماتقدم ، لأستعمار أفريقيا بوجه عام وجنوب أفريقيا بشكل خاص ، أولها التقدم الصناعي الذي أنجزته بريطانيا ، ووجه أنظارها نحو الخارج ، حين أيقن السياسيون البريطانيون ، بحكم التفوق الصناعي واستقرار السلام ، وتمتع بريطانيا بالحكم الديمقراطي ، بأن بريطانيا تقف على سلم الحضارة وتليها الشعوب الأخرى ، ونتيجة للتطور الصناعي زادت كمية التجارة البريطانية وخاصة في امريكا ، وزاد معه رأس المال ، فلجأت بريطانيا الى استثمار

رؤوس اموالها في مشاريع استراتيجية تدر عليها ارباحاً [٢٧] . وكانت الحاجة الى مستعمرات جديدة امراً ضرورياً ، لأن التصنيع واجه صعوبات في بريطانيا اهمها :-

١. حاجتها للمواد الخام .
٢. تركز الصناعة في المدن مما أدى الى هجرة الفلاحين وحدوث نقص في المواد الغذائية .
٣. الحاجة الى توفير اسواق محتكرة وعملاء تجاريين ، لتصريف المنتجات ، والحاجة لأيدي عاملة رخيصة للمشاركة في عملية الانتاج [٢٨] .

واذا كان العامل الاقتصادي هو من العوامل المهمة للتوجه البريطاني نحو جنوب افريقيا ، فلا يمكن اغفال الدوافع الاستراتيجية ، وخاصة اهمية الموقع الاستراتيجي لأفريقيا ، بشكل عام وجنوب أفريقيا بشكل خاص ، وخاصة بعد أن اصبحت تلك الطرق معلومة لدى الأوروبيين ، ولكي تستمر تجارة بريطانيا الى الهند وشرق اسيا ، لابد لها من ضمان طرقها بالسيطرة عليها ، كما أن هناك عوامل أخرى وراء نشاط بريطانيا لاستعمار أفريقيا ، منها نجاح ثورة الاستقلال الامريكية ضد بريطانيا عام ١٧٨٣ ، اشعرتها بضرورة الأتجاه شرقاً ، لتعويض تلك الممتلكات الغنية، يضاف إليها تهديدات حكومة الثورة الفرنسية وحروب نابليون وأطماعه ، مما حدا بها للتوجه نحو جنوب افريقيا [٢٩] ، يضاف الى ذلك العامل الديني والعامل الانساني الذي تشبثت به بريطانيا وبررت به استعمارها للقارة الافريقية ، وذلك عن طريق الأخذ بأيدي الأفارقة المتخلفين ليغيروا نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية [٣٠] ، كما أن انكلترا في رأي الانكليز تملك الوسائل التي تساعدها على حمل لواء المدنية ، وأن الطبيعة رسمت لها مهمة استعمار العالم ، للخروج من عهد الظلام والتأخر، إلى عصر الحضارة والنور والأزدهار [٣١] .

ولا يخفى ايضاً أن بريطانيا شجعت الهجرة الى المستعمرات الافريقية والامريكية ، للتخلص من فائض السكان ، وأرسال الاشخاص الغير مرغوب بهم الى تلك المستعمرات ، علاوة الى ما تعرضت له بعض الفئات الدينية من اضطهاد ديني اجبرها للخروج الى تلك المستعمرات ، لايجاد فرص أخرى للعيش بعيداً عن ذلك الاضطهاد ، والحصول على الحرية الدينية ، وفرص افضل للعمل .

المبحث الثاني

الأستعمار الهولندي والبريطاني لجنوب افريقيا

اولاً :- الاكتشاف الأوروبي لجنوب افريقيا

تقع جنوب افريقيا جنوب خط الاستواء ، أي في أقصى جنوب القارة الافريقية ، ويحدها من الشرق والجنوب المحيط الهندي ، ومن الغرب المحيط الاطلسي ، ومن الشمال كل من ناميبيا وبوتسوانا وزمبابوي

وموزمبيق وسوازيلاند ، وبها جيب داخلي في الشرق يمثل دولة لسوتو ، وتبلغ مساحتها حاليا (٠٥٠ ، ٢١٩ ، ١) كيلومتر مربع [٣٢] .

أستقر الاوربيون لأول مرة في جنوب افريقيا ، إلى الجنوب من مدار الجدي حيث تتمثل في هذا الأقليم جميع انواع المناخ الجاف والرطب فضلاً عن كونه هضاب تبلغ مساحتها (٥٠٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر ، كما أن ساحل القارة بخلجانه (مثل خليج فولس False، و خليج الجوا) ، واشباه جزره ، وخلوه من النباتات الكثيفة والمستنقعات ، يعد من أكثر قطاعات السواحل الأفريقية ملائمة لرسو السفن ، ولعل الركن الجنوبي الغربي بالذات بصيفه الحار وشتاءه المعتدل من أنسب جهات القارة لإستقرار الأوروبيين [٣٣] .

كان البرتغاليون أول المستعمرين الذين وصلوا إلى جنوب افريقيا ، وافسحوا المجال للهولنديين الذين جاءوا إليها اواخر القرن السادس عشر ، هرباً من الاضطهاد الديني [٣٤] ، وكون حوالي (١٤٠٠) من البالغين و(١٧٠٠) من الاطفال و(٦٠٠) عبد ، البنية الأولى للمستوطنين الهولنديين في جنوب افريقيا [٣٥]، واختلطوا مع السكان الأصليين من زنوج البانتو والبوشمن ، فأضافوا الى القارة سلالة جديدة من المولدين المعروفين بـ(البوير) ويسمون في الوقت الحاضر بالملونين [٣٦] .

وجهت الحكومة الهولندية متمثلة بشركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٦٥٢، لتنفيذ مشروع تأسيس محطة كيب تاون المعروف بـ(رأس الرجاء الصالح) ، وكان الهدف من انشاءها لتمكين سفن المجموعة من الحصول على المؤن والأمدادات ، ولم يكن تأسيسها معنياً بالأستثمار او الغزو في جنوب افريقيا بقدر ما كان للخدمة ، وبعد استقدام اليد العاملة وزيادة اعداد البوير أتخذت الشركة جملة اجراءات فرضت عليهم الدفاع عن المستعمرة ، إلى جانب العمل في الزراعة ، وتوفير المؤن للسفن ، مما اضطر البوير للتحرك خلف حدود الكاب داخل جنوب افريقيا ، وتزامن هذا التحرك مع لجوء اعداد من الفرنسيين ، نتيجة الغاء قانون ناتنز الفرنسي ، الذي ظل يحمي البروتستانت الهيكونوت في فرنسا ، من الاضطهاد الكاثولكي عام ١٦٨٥ ، مما أدى إلى رفع نسبة السكان الاوروبيين في الكاب الى مستوى السدس ، من مجموع السكان الذين قارب عددهم الى ستة ملايين للمدة (١٦٨٨ ـ ١٧٠٠) [٣٧] .

اندحرت هولندا عام ١٧٩٥، أمام فرنسا في سلسلة الحروب الأوروبية واستبقت بريطانيا فرنسا في مهاجمة الكاب ، وتمكنت من الاستيلاء عليه ، لكن أنهى صلح اميان عام ١٨٠٢ (الذي انهى الحرب البريطانية الفرنسية) الحكم البريطاني للكاب ، ونقلت إدارته الى جمهورية باتافيا [٣٨] ، الموالية لفرنسا ، لكن بريطانيا عاودت وهاجمت الكاب مرة ثانية ، بعد أن هزمت الأساطيل البريطانية الجيوش الهولندية عام ١٨٠٦ ، وتمكنت هذه المرة من امتلاك الكاب فعلياً ، بتوقيع اتفاقية لندن عام ١٨١٤ ، ودفعت التعويضات

عنها إلى ملك هولندا ، بموجب مقررات مؤتمر فينا عام ١٨١٥ [٣٩] ، واصبح البوير خاضعين لبريطانيا [٤٠] .

بدأ النشاط التبشري البريطاني في جنوب افريقيا ، الذي كان نتاج حركة التنوير العلماني والاحياء الديني في اوروبا ، لحماية الأجناس البشرية خلف البحار ، وتحويلها للمسيحية ، وجعلت الجمعية التبشيرية اللندنية محطتها في جراف رينيت ، تركز جهودها على الأفارقة الذين يعتمد عليهم لتوفير الأيادي العاملة ومستخدمين قس هولندي [٤١] .

ولنا أن نتسائل ، ما هي العوامل التي مكنت بريطانيا من السيطرة على الكاب ؟ ، ويأتي في مقدمة تلك العوامل هو ضعف شركة الهند الشرقية الهولندية ، ومواجهة الهولنديين منافسة تجارية متزايدة ، من كل من الفرنسيين والبريطانيين ، مما أدى الى تقويض أوضاع هولندا التجارية والاقتصادية ، وامتدت المنافسة الى مستعمرة الكاب ، التي كانت تمتلكها وتديرها شركة الهند الشرقية الهولندية ، أضافة الى الحروب التي خاضتها هولندا والتي انهكت جيوشها وكلفها اموالاً طائلة ، وصرفت رجالها عن ممارسة الأعمال التجارية المربحة يضاف الى ذلك اوضاع اهالي المستعمرة البيض ، والتي اتسمت بعدم الكفاية الأدارية ، وشيوع الفساد والرشوة ، وفرض القيود على التجارة ، وانتشار السخط بين المسؤولين في المستعمرة ، مما أدى الى انهيار حكم شركة الهند الشرقية الهولندية للمستعمرة ، يضاف الى ذلك ضعف المسؤولون في المستعمرة ، لمواجهة الأفارقة المحلين ، الذين كان من بينهم مقاتلون مهرة ، وخاصة بعد حرب الاستقلال الامريكية والثورة الفرنسية ، واتخاذ مبدأ الحرية والكفاح [٤٢] .

ثانيا :- الأستيطان الأوروبي في جنوب أفريقيا

تصلح (٦٥ %) من مساحة جنوب افريقيا للمراعي ، أكثر مما تصلح للزراعة ، وتَعودَ سكانها على الترحال بحكم الظروف المناخية ، ويعتمد السكان على تربية الماشية والصيد والزراعة ، وحين وطأت اقدام الأوروبيين منطقة الكاب ، توجهوا نحو الداخل ، سعياً للحصول على أراضي للزراعة والرعي ، وكانت جميع الأراضي تعتبر فنياً ملكاً لشركة الهند الشرقية الهولندية ، ويستطيع البوير استئجارها ، لتصبح منحة دائمة معفاة من الإيجار بعد خمس سنوات ، فأستولوا وبمدة قصيرة على مساحات كبيرة من الارض ، ففي عام ١٧٥٠ ، كان جميع الأوروبيون لايبعدون سوى (٥٥) ميل عن مدينة الرأس ، وبعد عام ابتعدوا الى مسافة (٢٢٥) ميل ، وبحلول عام ١٧٧٥، انتشروا الى مسافة (٥٠٠) ميل أخر ، لكن عملية الاستيطان كانت ثقيلة لشدة المقاومة قبائل الاكسوسا والزولو [٤٣] .

وسعت شركة الهند الشرقية الهولندية ممتلكاتها ، بالأستيلاء على أراضي السكان الأصليين من ابناء قبائل البانتو والهوتنستون والبوشمن ، ومُلكت الأراضي للمهاجرين ، الذين تملكوا الاراضي الشاسعة معتمدين في استثمارها على السكان الأصليين ، والذين تعاملوا معهم كرقيق ، ولم يقتصر المستوطنون على الهولنديين فقط ، وأنما وصلت مجموعات اوروبية أُخرى عانت من الأضطهاد الديني والسياسي كالهيكونوت الفرنسيين والالمان والبلولنديين والايطاليين ، والذين عدو انفسهم أكثر تطوراً من السكان الاصليين [٤٤] .

وفقاً لما تقدم خلفت بريطانيا هولندا رسمياً عام ١٨١٥ في احتلال الكاب ، ومارست عند احتلالها اجراءاتها الاستعمارية بطريقة بيروقراطية منظمة ، بأستحداث اصلاحات على نظامها الاستعماري ، من خلال انشاء المجلس التشريعي للمستعمرة ، وتشكيل المحكمة العليا لتفعيل السلطة القضائية ، وعملت على الحد من سياسة التمييز العنصري التي يتبعها البوير الهولنديين ضد السكان الأصليين ، وشجعت الهجرة البريطانية الى المستعمرة لتحقيق التوازن السكاني فيها ، وأعلنت اللغة الانكليزية لغة رسمية في البلاد ، ودعمت الارساليات الدينية الكاثوليكية ، وأُطلق على الحركة الاصلاحية اسم الحركة النظامية المثيودية ، التي مارس من خلالها البريطانيون النظام التبشيري والاحياء الديني على نطاق واسع بين السكان السود في المستعمرة ، وكان من نتائج الحركة النظامية إصدار مجلس العموم البريطاني قراراً يقضي بإلغاء تجارة الرقيق في كل المستعمرات البريطانية بما فيها مستعمرة الكاب عام ١٨٣٣ [٤٥] ، واقامت بريطانيا مستوطنات في المستعمرات للرقيق المحررين ، وتم نقل (١٢) الف من العبيد المحررين ، من المستعمرات الامريكية من قبل بريطانيا أبان حرب الإستقلال الامريكية الى سيراليون غرب افريقيا ، واقيمت لهم عدة قرى حول بلدة فريتاون استوطنها العبيد المحررون [٤٦].

وسعت بريطانيا من حدود مستعمراتها ، وخلقت منطقة عازلة بين المستعمرة والاكزوسا ، لتقوية النظام الدفاعي للمستعمرة ، وعرفت المنطقة الجديدة بأسم الزورفلد والتي كان يسكنها (٢٠) الف من جماعة ندالمبي والجونوكويبي ، وتم جلاء هذه الجماعات بالقوة ، وسمحت بريطانيا بعد عام ١٨١٥، للبريطانين العاطلين والراغبين بالأستقرار في منطقة الزورفلد ، ليبدأو حياة جديدة فيما وراء البحار[٤٧]، مستفيدة من تجربة الالمان والفرنسيين والهولنديين الزراعية ، بتشجيع مهاجريها على الاقامة الدائمة ، وبناء المزارع والمدن على الحدود الغربية للمستعمرة ، من أجل الدفاع عنها ، وحماية المستوطنين البريطانيين [٤٨] ،

خصصت الحكومة البريطانية عام ١٨١٩ ، (٥٠) جنيهاً استرليني ، لمساعدة الراغبين في الهجرة ، بشرط أن يكون المهاجرين من البالغين ، ومن مجموعة لاتقل عن عشرة ، وكل مهاجر يمنح (١٠٠) فدان انكليزي ، ووصلت أول دفعة مهاجرين إلى خليج الجوا عام ١٨٢٠ ، وانتشروا تدريجياً في الزورفلد وبلغ مجموعهم عام ١٨٢٠، حوالي (٥) الاف مستوطن ، وسميت الزورفلد بأسم الباني ، وحل اسم اليزابيث محل ميناء فريديك في خليج الجوا ، ووصل الفلاحون البريطانيون بعد أن اقتصر الأمر في البداية على العمال ، واصبحت المستعمرة

للمستوطنين البوير والمستوطنين البريطانيين (poers and brition) ، والحكم فيها للبريطانيين ، ولم يحل استيطان الأنكليز في المستعمرة دون الاحتكاكات والمناوشات الحدودية مع الاكزوسا ، وظلت الصدامات مستمرة بين الاكزوسا من جهة والمستوطنين البريطانيين والبوير من جهة أخرى [٤٩] .

أختلف المستوطنين البريطانيين عن غيرهم من المستوطنين الاوروبيين الذين سبقوهم باللغة والمذهب الديني والثقافي والعادات والتقاليد والخلفية التاريخية ، وكان هذا عائقاً لانسجامهم مع الأطراف الأخرى ، فظهر واقع اجتماعي ومعيشي جديد ، تمحور حول وجود جالية بريطانية تسكن المدن وتسيطر على السياسة والصناعة والتجارة والمناجم اضافة للأمور المالية ، مقابل جالية البوير التي امتاز سكانها بالسكن بالريف ، ومزاولة الزراعة ، وقلة الثقافة ، وانقلب الاستياء من جانب البوير، الى خلاف على اثر قرار الغاء الرق (slavery abolition act) عام ١٨٣٣ ، إذ اعتمد البوير على الرق ، وتشغيلهم في حياتهم الاقتصادية ، أضافة الى ماعاناه البوير من الحرب التي نشأت بين البريطانين والسكان الأصليين من شعب خوسا ، مما جعل عدد كبير من البوير يفكر في مغادرة منطقة النفوذ البريطاني ، بحثاً عن فسحة اكبر من للحرية والأستقلال [٥٠] .

أخذ البوير في التحول في المناطق الداخلية من جنوب افريقيا وتحركوا شمالاً ، فيما عرف بأسم الهجرة الكبرى (the creat treck) في المدة (١٨٣٦ – ١٨٤٠) ، فعبروا نهر الاورانج وانشأوا دولة مستقلة عن الكيب هي جمهورية البوير في ناتال [٥١] ، واقاموا جمهورية ناتال واورانج مع الفرنسيين (الافريكانز) والمهاجرين ، وتتبع الجيش البريطاني المهاجرين ، فأستولى على ناتال وضمها الى مستعمرة الكيب عام ١٨٤٤ ، واهتمت بريطانيا بناتال بسبب موانئها مما اضطر الافريكانز للهجرة مرة أخرى وعبروا نهر الفال ، واستقروا في أراضٍ جديدة اطلقوا عليها تسمية جمهورية جنوب افريقيا عام ١٨٤٩ ، تغير اسمها فيما بعد الى الترانسفال ونشأ خلاف جديد مع بريطانيا بشأن الحدود ووصلوا الى تسوية في عام ١٨٧٩ ، وهاجرت جماعات بريطانية الى الاملاك الجديدة ، واتجهت اليها أنظار اصحاب روؤس الموال لأستثمار أموالهم ، ومن أهم الشخصيات التي عاشت هناك سيسيل جون رودس Cecil Rhodes ، الذي أنشأ شركة جنوب افريقيا ، والذي سنأتي إلى ذكره لاحقاً [٥٢] .

ثالثاً:- الصراع البريطاني – البويري في جنوب افريقيا

انشأ الانكليز حكومة محلية ومجلس نيابي في منطقة الكاب ، وزادت حركة الاستيطان بعد عام ١٨٥٣ ، وتوغل البريطانيون شرقاً بعد هزيمة قبائل البانتو وضم سوازيلاند Swaziland، واكتشفت مناجم الماس والذهب في السبعينات من القرن التاسع عشر ، وأدى ذلك الى بداية النزاع بين الانكليز والبوير ، واحتل الانكليز منطقة كمبرلي والقسم الغربي من جرينلاند Groenlandberge عام ١٨٧١ ، وضمت إليها كل الترانسفال ، لكن الانكليز هزموا على يد البوير عام ١٨٨١ ، ووقعت تسوية مع البوير ، اعترفت بريطانيا بحكومة الترانسفال مع سيادة أسمية

بريطانية عليها ، وفي عام ١٨٨٤ وقعت اتفاقية لندن التي أعادت الأعتراف بالترانسفال على أنها جزء من جمهورية البوير في جنوب افريقيا ، مع الأخذ بالمشورة والرأي في السياسة الخارجية ، وعدم التدخل في علاقة الترانسفال مع جمهورية البوير في الاورانج [٥٣] ، واقرت الحكومة البريطانية مشروع ملنر Milner [٥٤]، الذي يقضي بضم مناطق أخرى إلى افريقيا الجنوبية البريطانية ، وهي روديسيا ونياسلاند وباسوتولاند وباتشوانا لاند وسوازيلاند [٥٥] ، واستطاع سيسيل رودس أن يضم لبريطانيا عام ١٨٩٨، الأراضي الواقعة شمال اللمبوبو ، وصولاً إلى بحيرة تنجانيقا ، ليشكل ماأسماه جمعية جنوب افريقيا [٥٦] .

أُكتشف الذهب في منطقة الراند في جوهانسبرج بالترانسفال ، وتبعه تدفق أفواج البريطانيين من ناتال سعياً وراء الذهب gold rush ، وأدى اكتشاف المعدن النفيس إلى انهيار النظام الاقتصادي الزراعي الرعوي للبوير ، فقد أخذوا يسعون وراؤه ، وتنافسوا مع البريطانيين الساعين وراء الذهب من البريطانيين وغيرهم من الأجانب ، ونتيجة لذلك قامت الثورة الأولى في الترانسفال [٥٧] .

تصدى البوير لنفوذ بريطانيا وأدى الى نشوب حرب ضروس وشرسة بينهما بأسم (حرب البوير) ، وامتدت بين عامي ١٨٩٩ و ١٩٠٢ ، واستسلم البوير واحتلت بريطانيا كل من البوير وترانسفال واورانج ، وعزل البريطانيون خلال المعارك البوير في معسكرات الاعتقال ، وشاركت كل من كندا ونيوزلاندا واستراليا إلى جانب بريطانيا في الحرب ، واستخدمت سياسة الأرض المحروقة ، ونتج عنها وفاة الالاف بسبب الجوع والمرض ، واصدر البرلمان البريطاني عام ١٩٠٩ مرسوماً ، انشأ بموجبه اتحاد جنوب افريقيا ، الذي ضم مستعمرات الرأس وناتال واورانج وترانسفال ، ووضع دستور خاص لها وربطت مع بريطانيا بنظام دومينون ، أي منحها استقلال شبه ذاتي ، لتخضع اسمياً لحكومة لندن ، وجعل لها ثلاث عواصم هي برتوريا (العاصمة الإدارية) ، مدينة الرأس (كيب تاون) (العاصمة التشريعية) ، بلومفونتين (العاصمة القضائية) ، ولايزال هذا الاجراء متبعاً الى يومنا هذا ، واصبحت اللغة الهولندية والانكليزية اللغة الرسمية ، اما الافريكانز فلم يعترف بهم رسمياً إلا عام ١٩٢٥ [٥٨] .

رابعاً:- جنوب افريقيا بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية

وفق نظام الدومنيون وقفت جنوب افريقيا الى جانب بريطانيا ، واحتلت دولة جنوب افريقيا مستعمرة جنوب غرب افريقيا الالمانية (نامبيا حالياً) ، وتحول الاحتلال إلى انتداب بتفويض من عصبة الأمم بعد الحرب ، وأصدرت بريطانيا عام ١٩٣١ قانون وستمنتر ، الذي منح المساواة التشريعية بين حكومة لندن والدول التابعة لها بصفة دومنيون بما فيها جنوب افريقيا ، مما يعني مزيداً من الاستقلال لهذه الدول في مجال إصدار تشريعاتها الخاصة ،

مع ربطها بمنظمة الكومنولث، ووفقاً لنظام الدومنيون ، وقفت افريقيا مع بريطانيا ضد المانيا وايطاليا واليابان في الحرب العالمية الثانية ، وشاركت قواتها البرية والجوية في المعارك ، التي دارت في البلقان وايطاليا ومدغشقر وشرق افريقيا وشمالها [٥٩] .

تنازع السلطة في اتحاد جنوب افريقيا ، الذي اتخذ من (بريتوريا) في الترانسفال قاعدة إدارية ، عدة احزاب سياسية اوروبية منها حزب الافريكا (أعضاؤه من الاوروبيين المنحدرين من اصول هولندية والمانية وفرنسية) ، وحزب الدومنيون (المدافع عن الانكليز) ، وحزب عمال جنوب افريقيا الذي يمثل مصالح العمال البيض ، والحزب المتحد (الذي يمثل رجال المال والتجارة الانكليز) ، والحزب الوطني الذي يمثل البوير وهو حزب متعصب للاتجاه العنصري ، وأتى كل حزب ليكسب التأييد عن طريق مايوعد به من تشريعات بأتجاه التفرقة ، وأقامة مجتمع من الاقلية البيضاء يقود دفة الحكم ، وقدر للانكليز السيطرة على الأتحاد حتى حصول الحزب الوطني على الأغلبية الأنتخابية عام ١٩٤٨[٦٠].

يعتبر عام ١٩٤٨ علامة فارقة في جنوب افريقيا ، إذ طبقت الحكومة رسمياً سياسية التمييز العنصري ضد السكان السود وعُرفت بسياسية أبارتايد ، وأَصدر قانون منع الزواج المختلط بين مختلف الأعراق الذي صدر عام ١٩٤٩ ، وقانون مناطق المجموعات Croup Areas Act ، الذي صدر عام ١٩٥٠ ، والذي قضى بفصل السكان ، وفصل المجموعات العرقية عن بعضها ، وأدت تلك القوانيين إلى إندلاع اشتباكات عرقية بين الهنود والسود عام ١٩٤٩، ورغم أن معظم دوافع موجة العنف كانت اقتصادية واجتماعية ، إلا أنها خلفت جرحاً عميقاً بين الطرفين دام لسنوات عدة [٦١].

ثقافياً لم يشجع الحزب الوطني الاختلاط بين البيض وغيرهم من المجتمعات العلمية والتربوية ، وبموجب قانون البانتو عام ١٩٥٣ (قانون تعليم البانتو) ، خضع تعليم الافارقة للسيطرة الحكومية للتأكيد على أن الافارقة لن يتعلموا بالمستوى الذي يؤهلهم لتبوء مراكز لايسمح بالحصول عليها ، وفي عام ١٩٥٩ ، انكر قانون الفصل الجامعي على غير البيض ، حتى من حق الأقتراب من الجامعات التي كانت سابقاً تسمح لهم بالدراسة الى جانب البيض ، ولم يقف الأفارقة مكتوفي الأيدي تجاه هذه السياسية العنصرية ، مما أدى الى إتحاد زعماء القبائل الافريقية ليتناسوا خصوماتهم ومنازعاتهم وللدفاع عن انفسهم كأمة واحدة [٦٢].

جرى في عام ١٩٦١ استفتاء للبيض ، واصبحت البلاد جمهورية مستقلة عن الكومنولث ، وسميت بجمهورية جنوب افريقيا ، وألغي مكتب الحاكم العام وأُستعيض عنه بمنصب رئيس الدولة ، واتخذت اجراءات بحق الحركة الوطنية في جنوب افريقيا ، وحكم بالسجن على نيلسون مانديلا Nelson Mandela، الزعيم البارز لمناهضة سياسة التمييز العنصري ، لتبدء مرحلة جديدة من مراحل الصراع مابين الحركة الوطنية من جهة ، والسياسة العنصرية من جهة أخرى ، وحصلت نامبيا على استقلالها عام ١٩٩٠ ، وامام الضغوط الدولية على

حكومة برتوريا لانتهاجها نظام ابارتايد ، اعلن رئيس البلاد فريدريك ويليم دي كليركFrederik Willem de Klerk (١٩٨٩-١٩٩٤) ، في الثاني من شباط ١٩٩٠، اطلاق سراح نيلسون مانديلا ، وكان لهذا الاجراء نتائج طيبة لازالة العزلة الدولية عن البلاد ، وفي عام ١٩٩٢، اعلنت حكومة برتوريا أنه بمقدور السود الادلاء بأصواتهم في استفتاء حول قيام حكومة انتقالية ، واجريت انتخابات ٢٦-٢٩ نيسان ١٩٩٤ ، شارك فيها ابناء البلاد السود وأنتخب نيلسون مانديلا أول رئيس اسود للبلاد ، واعتمدت الجمهورية علماً متعدد الالوان يرمز لوحدة المجتمع في البلاد[٦٣].

المبحث الثالث

النتائج الإقتصادية والاجتماعية للإستيطان البريطاني في جنوب افريقيا

اولاً:- دور شركة جنوب افريقيا في ترسيخ النفوذ الاستعماري البريطاني

تأسست الشركة البريطانية لجنوب افريقيا عام ١٨٨١ ، بألحاح من سيسيل رودس للعمل في مجال التعدين ، واستغل رودس هذه الشركة لتحقيق أطماعه في اقامة مستعمرة جنوب افريقيا ، بدعوى حماية الذين يقومون بأعمال التنقيب ، وانتهى أمره بالسيطرة على معظم الأراضي في جنوب افريقيا ، واستمر رودس في مخططه الاستعماري يشتري الأراضي لصالح الشركة ويوسع أعماله التجارية ، وتمتلك الشركة اسطولاً ضخماً يعمل بالتجارة بين جنوب افريقيا والهند [٦٤] . وقد تولى رودس الحكومة البريطانية في الكاب عام ١٨٩٠ ، وحال دون تنفيذ المانيا لمشروعاتها في المنطقة من خلال انشاء سكة حديد (القاهرة – الكاب) ، لربط المستعمرات البريطانية في افريقيا من الجنوب الى الشمال ، الا أن المشروع لم يكتمل وأقتصر على ربط المدن الصناعية في جنوب افريقيا بروديسيا الجنوبية بسبب تدهور الاوضاع في المنطقة ، ورغم النجاح الذي حققه رودس إلا أنه أرتكب خطئاً فادحاً بتدبيره الهجوم على الترانسفال بحجة حماية عمال المناجم ، وعمل رودس مع وزير المستعمرات البريطانية تشمبرلن Chamberlain، على عملية تهريب الأسلحة الى عمال المناجم البريطانيين ، وأعلان الثورة ضد البوير ، ولكن محاولته باءت بالفشل ، ونتج عنه إفساح المجال لالمانيا لتعزيز تواجدها في المنطقة باستمالة البوير الى جانبها ، مما أدى الى إستياء بريطانيا[٦٥] ، ولم يتوقف رودس وشركته عند هذا الحد بل تعداه الى عقد المعاهدات مع زعماء القبائل الافريقية وملوكها ، ليضع مناطق شاسعة تحت الحماية البريطانية ، وأتاح لشركة جنوب افريقيا الأستغلال والأستثمار ، وبسبب جهوده وفدَ الكثير من المهاجرين البريطانيين الى هذه المناطق [٦٦] .

تأسست شركة سيراليون عام ١٧٨٧، ومنحت امتيازاً لتأسيس مستعمرة سيراليون ، ولعبت دوراً هاماً في نقل الرقيق المحرر من بريطانيا واوروبا وامريكا إلى افريقيا بواسطة اسطولها التجاري البحري ، ثم بسطت نفوذها في غامبيا وساحل الذهب ولاجوس ، وتأسست شركة النيجر للملاحة التي مكنت بريطانيا من نفوذها على طول نهر

النيجر ، واطلقت على الأراضي التي سيطرت عليها اسم المحمية البريطانية لنيجيريا [٦٧] ، وعملت الجمعيات التبشيرية دور كبير بين الأفارقة ، ودرسوا عاداتهم ولغاتهم وتقاليدهم وكتبوا عنهم ، وكان الارساليون يرون أن كل الناس سواء ، وكلهم يجب أن يحظى بمعاملة انسانية ويحق له المطالبة بحقوقه الأساسية ، فبينما كان البوير يضطهدون السود ، نجد الأرساليون يدافعون عنهم ويطالبون بحقوقهم مما أدى الى نشوب نزاع بين الارساليون والبوير [٦٨] ، ومن اهم الجمعيات التبشرية هي جمعية اباء فيرونا ، وجمعية البريطانين المبشرين ، وجمعية المبشرين المتحدة ، وأدى التسابق بين الكنائس الى حيازة مناطق نفوذها في المناطق التي تبشر بها [٦٩] .

تعددت شركات التنقيب عن المعادن حتى عام١٨٨١، اذ استطاع سيسيل رودس من إدراج معظم المناجم في إدارة واحدة وتحت سلطة واحدة ، تحت مسمى شركة De Beers Consolidated Mines Limited ، أي شركة بيرز التضامنية المحدودة للمناجم ، واستمرت هذه الشركة حتى عام ١٨٩٠، إذ سيطرت على كل صناعات تعدين الماس ومناجمه في المنطقة ، وأدت المكننة والتنظيم الجيد إلى فعالية عالية في الانتاج ، واصبحت جوهانسبرج اكبر مدن الترانسفال واكثرها ثراءاً ، وقدم إليها عشرات الالاف قادمين من بريطانيا واوروبا واستراليا والولايات المتحدة الامريكية ومن السكان الأصليين الأوروبيين في جنوب افريقيا شانها شأن كمبرلي ، وبلغ عدد السكان نهاية القرن التاسع عشر(١٦٦,٠٠٠) ، فقام رودس بأستثمار الخبرات التي تعلموها في كمبرلي ، ودعم صناعة الذهب واعطاها دفعة قوية ، بجعل المناجم المختلفة تحت إدارة شركة واحدة ، هي شركة حقول ذهب جنوب افريقيا التضامنية The Consolidated Gold Fields of South AFrica ، مما جعل من دولة الترانسفال دولة صناعية حديثة [٧٠] .

ثانياً :-النتائج الاقتصادية للاستعمار الاستطاني

اعتمد الاقتصاد الجنوب افريقي في صادراته على النبيذ ، أن لم يكن المصدر الوحيد قبل الهجرة البويرية الكبرى عام ١٨٣٥ ، تخلى النبيذ عن الصدارة لصالح الصوف ليصبح النبيذ في المقام الثاني ، واستمر تصدير الصوف مورداً رئيسياً للاقتصاد الجنوب افريقي حتى عام ١٨٦٨ ، عندما تم اكتشاف الماس في كمبرلي ، عندها تخلى الصوف عن مركز الصدارة للماس ، وغدا في المركز الثاني بالنسبة للصادرات ، وعملت الظروف في جنوب افريقيا إلى انسياب السكان الأصليين من مناطقهم الزراعية إلى المدن ، فقد تعرضت أراضيهم للتعرية ، على عكس الأراضي التي يسكنها الاوروبيون ، التي تميزت بالخصوبة وذات الانتاجية العالية ، فضلاً على أن اغلب من كان يمارس العمل في المزارع المحلية هم من الاطفال والنساء والشيوخ ، لأن الفئات الشابة توجهوا للعمل في مناجم الماس والمدن الناشئة [٧١] .

تدنى المستوى الانتاج السنوي من المواد الغذائية ، في الوقت الذي زادت فيه اعداد السكان ، فعلى سبيل المثال نجد في عام ١٨٧٥ ، في منطقة فكتوريا الشرقية وكازكاي التي يبلغ سكانها اقل من (٦٠٠٠) نسمة ، تبيع منتجات زراعية تبلغ قيمتها (١٩٠٠٠) جنيه استرليني ، بينما في عام ١٩٢٥ عندما بلغ سكانها (١٢٠٠٠) لم تنتج المنطقة ذاتها إلا ماقيمته (١٠٠٠٠) جنيها استرلينياً ، وهذا التدهور في الانتاجية يماثل كثير من المناطق في جنوب افريقيا ، وهكذا اصبح السكان الأصليين في المناطق المخصصة لهم بعد اكتشاف الماس والذهب مهددين بالموت جوعاً ، للأسباب الإقتصادية والضغوط السياسية والمناخية ، المتمثلة بالجفاف الذي غالباً ما يجتاح البلاد [٧٢] .

كان اكتشاف الماس في كمبرلي ، والذهب في الترانسفال عام ١٨٨٦، والبلاتين والكروم والنحاس والمنغنيز طفرة في بناء اقتصادهم ، ومجيئ الاف المهاجرين البيض جالبين رؤوس الاموال والتقنية والمهارات والمعرفة الاوروبية الناجحة في الثورة الصناعية [٧٣].

أعطت الثروات المكتشفة واستخراجها قوة وزخماً اقتصادياً للمنطقة ، مما جعل جنوب افريقيا تتخطى الاقتصاد الزراعي والرعوي الضعيف وغير الثابت ، لتصبح دولة صناعية راسخة وقوية فشهدت جنوب افريقيا متغيرات ذات الدلالة كانت معظمها ايجابية ، وتنحو نحو الازدهار والتقدم للمستعمرين الاوروبيين ، وعلى العكس من ذلك كان بعضها سلبياً وضاراً للسكان الاصليين ، وأدت الصناعة التعدينية الى مزيج من الثروة والمشاكل الإجتماعية في آن واحد ، فكانت صادرات الماس تبلغ (١٦٠٠٠٠٠٠) جنيه استرليني سنوياً ، ووجدت جنوب افريقيا نفسها في المراحل الاولى للثورة الصناعية ، ولم تعتمد على الزراعة وحدها ، فظهرت المراكز الحضرية الضخمة ونشأت المراكز الصناعية الأولى في المنطقة ، وأصبحت مدينة كمبرلي تفوق مدينة الكاب العريقة ومقر الإدارة البريطانية [٧٤] .

وفي ضوء ماتقدم نلاحظ أن الاستعمار الهولندي تبعه استعمار استيطاني بريطاني ، أدى إلى التنافس بين الطرفان الأستعماريان للحصول على مناطق نفوذ لهما ، واستغلال الثروات لكلا الطرفين ، وزاد التنافس خاصة بعد اكتشاف الالماس والذهب في جنوب افريقيا ، واسهم ذلك التنافس الى وجود مناطق خاصة للبوير ، واستحواذ بريطانيا على النفوذ السياسي في معظم جنوب افريقيا .

ثالثاً :- النتائج الاجتماعية للأستعمار الاستيطاني

أدت الهجرة والاستيطان في جنوب افريقيا ، ومالحقها من صراع بين المهاجرين والسكان الاصليين ، إلى قيام دولة متعددة الاجناس والطوائف ، تملك كل جماعة منها خصائصها الثقافية واللغوية والدينية والحضارية ، فقد سعى الافريكانز منذ بداية استيطانهم إلى إقامة مجتمع خاص بهم متمركز على مجموعة دعائم متميزة ، دعوا من خلالها

إلى بناء القومية الافريكانية ، لمواجهة الاجناس والطوائف الأخرى ، وبدأت عملية ولادة هذه القومية منذ مراحل الاستيطان الأولى ، واستخدم الهولنديين اسواراً حول شركة الهند الشرقية الهولندية ، لتمنع السود من الاقتراب من املاك الشركة وموظفيها ، فكان هذا السور رمزاً لما اصبح فيما بعد سياسة ثابتة ، ترمز إلى الفصل التام بين الاجناس البيضاء والسوداء ، كما أن الانسلاخ عن الموطن الاصلي وانعزالهم عن السكان الاصليين ميزت الافريكانز بنزعتهم الفردية معارضين أي قيود على حقوقهم الفردية ومصالحهم ، واعتمدوا على الدين في بنائهم القومي المستند على العقيدة الكالفينية ، معتبرين انفسهم أنهم الشعب الذي اختاره الله ، وأن السود الوثنين لاحق طبيعي لهم في انفسهم ، ولافي امتلاك الاراضي التي بدأ البيض باغتصابها [٧٥] .

قامت حكومة جنوب افريقيا بتصنيف السكان طبقاً للأصل العرقي وفئات ، الاجناس الاربع الرئيسية هي ، البيض أي الاشخاص المنحدرون من اصل اوروبي ، والبانتو سكان افريقيا الأصليين ، والاسيويون المنحدرون من اصل اسيوي ، والملونون أي الاشخاص الآخرين والذين ينحدرون من أصل مختلط [٧٦].

ويبين الجدول التالي النسبة المئوية للتركيبة العرقية للسكان في جنوب افريقيا للمدة (١٩٠٤ – ١٩٦٠) [٧٧] :

ت	السنوات	البيض	الافارقة	الاسيويون	الملونين
١	١٩٠٤	٢١,٦	٦٧,٤	٢,٤	٨,٦
٢	١٩١١	٢١,٤	٦٧,٣	٢,٥	٨,٨
٣	١٩٢١	٢١,٩	٦٧,٨	٢,٤	٧,٩
٤	١٩٣٦	٢٠,٩	٦٨,٨	٢,٣	٨,٠
٥	١٩٤٦	٢٠,٨	٦٨,٦	٢,٥	٨,١
٦	١٩٥١	٢٠,٩	٦٧,٥	٢,٩	٨,٧
٧	١٩٦٠	١٩,٤	٦٨,٢	٣,٠	٩,٤

وحسب تقديرات عام ١٩٦٦ ، يتكون البانتو من (١٢,٤٦٥,٠٠٠) ، البيض (٣,٤٨١,٠٠٠) الملونين ، (١,٨٠٥,٠٠٠) ، الاسيويون (٥٧٤,٠٠٠) شخص[٧٨] .

عانى السكان الأصليون (البانتو) ، من سياسة التفرقة العنصرية ، منذ بداية هجرة البيض ، نتيجة لتفوقهم الحربي ، والإستيلاء على أراضي القبائل الافريقية ، وأدى التوسع الاستيطاني الافريكاني والبريطاني ، إلى إحداث اضطراب كبير بين قبائل البانتو ، فحطمت عملية الاستيلاء على الأراضي ، أخر معالم الاستقلال الزراعي الافريقي ، وأجبرت الافارقة على حياة التشرد والعمل كاجراء في خدمة المجتمع الابيض ، كما حطم النظم الاجتماعية للقبائل الافريقية وعزل قادتها ، مما أدى الى خلو المجتمع الافريقي من الزعامة التقليدية القادرة على

المواجهة ، وتشتت وحدة المجتمع الافريقي وبقائه في أطار قبلي تعددي متصارع ، وحرمت سياسة الاوروبيين الأفارقة من فرص التقدم والتطور، واصبح داخل افريقيا مجتمعان وعالمان ، الأول عالم ابيض متقدم ، والثاني عالم افريقي متخلف يعاني من اوضاع اقتصادية وثقافية مترديه [٧٩] .

على ضوء ماتقدم رغم الأعداد السكانية الكبيرة للأفارقة الاصليين ، والتي مثلت نسبة تقريبة (٦٧%) خلال الاعوام (١٩٠٤ – ١٩٦٠) ، إلا أنهم تمركزوا في أراضي قليلة مقابل مساحة الأرض الكبيرة للمستوطنين البريطانين ، يليهم الملونين والاوروبين ، بالأضافة إلى ماعاناه السكان الأصليين من اضطهاد ، بسبب تسييد الرجل الأبيض على الاسود ، ومعاملة المستوطنين للسكان معاملة السيد للخادم ، اما بالنسبة للتوزيع السكاني في جنوب افريقيا ، فقد انتشرت مستوطنات الاوروبيين في الأقاليم الأربعة في جنوب افريقيا في الناتال وترانسفال واورانج والكاب ، واستطاعوا اينما حلو أن يستغلوا الارض مستعينين بالتقنية الحديثة والخبرات العلمية التي هيأت لمستوطناتهم نهوضاً سريعاً [٨٠] .

سعت الدول الاستعمارية إلى إستغلال الشعوب وأراضيها وثرواتها الطبيعية ، ويعد واحداً من اهم مصادر الربح المالي للاحتكارات الرأسمالية [٨١] ، وتمثل ذلك بإصدار الحكومة في جنوب افريقيا قانون أرض السكان المحليين ، الذي حصر ملكية السكان السود للأراضي بنسبة (١٧ %) فقط من مجموع اراضي البلاد [٨٢] ، كما اعتمدت قانون الهجرة لمنع مزيد من الهجرة الهندية ، بعد أن ازدادت اعدادهم ، ومنع الهنود من دخول دولة الاورانج الحرة ، وحرم عليهم شراء الاراضي في الترانسفال [٨٣] .

ووفقاً لما تقدم كانت الأراضي الزراعية لاتستوعب السكان الأفارقة ، وحوصروا في مناطق متدنية الجودة ، وكان الأفارقة المشتغلين بالزراعة من كبار السن والنساء والاطفال ، اما الشباب الاقوياء فيذهبون للعمل في المدن ، ورغم التفوق العددي للسكان الأفارقة إلا أن المسموح به من الأراضي لهم يشكل (٢٠%) ، و(٨٠%) من الأراضي يمتلكها (١,٥%) من السكان ، واصبحت عام ١٩١٣ تمثل(٨٧%) ، ويشغل الافارقة (١٣%) فقط ، مما أدى الى تدني الأنتاج الزراعي الخاص بالأفارقة ، وتكدس السكان في مناطق صغيرة ، واصبحوا مهددين بالجوع ، مما اضطرهم للرحيل للعمل في المدن والمزارع الاوروبية ، حتى النساء غادرن قراهن بحثاً عن العمل ، كما فضل الأفارقة مناطق التعدين للعمل بها لأرتفاع الأجور هناك [٨٤] .

نتيجة لتعقد وتشابك العوامل ، كنقص التكيف مع الحياة في المدن ، وتكاليف المعيشة المرتفعة صار الأفارقة الذين يعيشون في المدن يكتفون بزوجة واحدة ، بدلاً من تعدد الزوجات الذي كان مألوفا للأفارقة الأصليين في المناطق الريفية ، وكذلك تم التخلي عن العادات القديمة كقاعدة الزواج من خارج القبيلة ، وكانت من النتائج السلبية هي حالة التمزق والتفسخ الاجتماعي التي استشرت بين فئات المجتمع ، وانتشار البيوت المبنية من صفائح القصدير والحديد في الاحياء الفقيرة ، وأثرت تلك الأحوال السيئة إلى أتجاه البعض نحو الجريمة والسرقة وبيع

الخمور الغير مصرح بها ، واصبح السكان الأصليين اسفل السلم الاجتماعي والوظيفي من بين مختلف الجنسيات التي أتت للعمل في جنوب افريقيا [٨٥] .

وكانت نتيجة السياسة الاستيطانة العنصرية ظهور تكتلات وتنظيمات معارضة لسياسة الاوروبين العنصرية ، مطالبة بنبذ التفرقة والمساواة بالحقوق والواجبات ، ونشأت حركة وطنية معارضة للبيض مما أدى الى تقارب الاوروبيين في جنوب افريقيا وحل منازعاتهم ومشاكلهم ، وفي مقدمتها ضمان السيطرة الاوروبية على العناصر الأخرى وكيفية استغلالها كأيدي عاملة [٨٦] .

نتج عن التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، اتباع الاوروبييون أول مظهر منظم وفق قوانين حكومية من مظاهر التمييز العنصري ، من خلال مايسمى التنمية المنفصلة أي النمو الاوروبي على حساب السكان الأصليين ، إذ بدأت أولى خطوات التنمية المنفصلة في التعليم الابتدائي ، بجعل الدور الثانوي للسكان الأصليين في المجتمع ، واعطاء الدور المميز والأبرز والمهيمن في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأوروبين البيض ، فوضعت العراقيل أمام تعليم السكان الأصليين ، وتم فصل المدارس العامة في الكاب على أساس عنصري وفقاً لقانون هيئة مدارس الكاب عام ١٩٠٥ ، لفصل السود عن البيض في المدارس ، وامتد الفصل ليشمل التعليم العالي ، وشمل الفصل المقررات والمدارس والمناهج الدراسية للأجناس المختلفة ، فأسست ثلاث كليات جامعية للأفارقة في الريف ، وتأسست جامعات في الناتل وغيرها للبيض الأوروبيين فقط [٨٧].

الخاتمة

- يُعد الاستعمار الاستيطاني من أخطر أنواع الاستعمار فهو يعتمد على سلب الشعوب أراضيها وحريتها ويحرمها من استغلال مواردها الاقتصادية ، بل ويتسيد المستعمر المحتل على ابناء الأرض الأصليين ، ويستغل ابناءه في خدمته ويحرمهم من أبسط حقوقهم ويعمل على تهجيرهم وأبادتهم أن أقتضى الأمر
- عملت البرتغال على قيادة حركة الاستكشافات الأوروبية للوصول إلى طريق الهند ، وفتح الأبواب امام الحملات الاوروبية اللاحقة للكشف والاستعمار ، تسارعت الدول الأوروبية تقودهما البرتغال واسبانيا في الحصول على مستعمرات داخل افريقيا ، وقادت تلك الحملات الاوروبيين للعمل في تجارة الرقيق ، محققة ارباحاً طائلة من تلك التجارة ، ونقل ملايين الأفارقة من موطنهم الاصلي الى امريكا واوروبا .
- عملت جميع الدول الاوروبية المستعمرة للاراضي الأفريقية في تجارة الرقيق ، ونقل الآف الافارقة الى اوروبا والى القارة الامريكية ، واستغلالهم في مختلف الأعمال ، وكانت عملية الحصول على

الرقيق تتم بعدة طرق بعيدة كل البعد عن التعامل الانساني، كما أن عملية نقلهم يتم عن طريق سفن صغيرة تمتد الرحلة لعدة ايام واسابيع ، وكثير من الأفارقة يموت أثناء تلك الرحلات ويُلقى بهم في البحر ، وعملت بريطانيا على إصدار عدة مراسيم لالغاء تجارة الرقيق بعد انتفاء الحاجة من تلك التجارة ، بعد أن حصلت على الأرباح الضخمة من تلك التجارة ، وتمكنت من القيام بثورتها الصناعية في القرن الثامن عشر .

- كانت نتيجة استكشافات البرتغال أن وجدت موطأ قدم لها في جنوي افريقيا ، وفسحوا المجال للهولنديين من بعدهم ، ويعود السبب في استطيانها الهولنديين للمنطقة ملائمة الظروف الجوية للاوروبيين ، على غير المناطق الأخرى من افريقيا ذات الجو الاستوائي الحار ، وتم استيطان جنوب افريقيا من قبل الهولنديين منذ عام ١٦٥٢ ، وتبنت شركة الهند الشرقية الهولندية استيطان جنوب افريقيا ، وتأسيس محطة الكيب تاون ، ونتج عن ذلك الأستعمار نشوء البوير كنتيجة للاندماج الافريقي الاوروبي في جنوب افريقيا .
- نتيجة للتنافس الاستعماري بين هولندا وبريطانيا ، تمكنت بريطانيا من اخضاع الكيب تحت سيطرتها عام ١٨١٥ بشكل رسمي ، وخاضت بريطانيا مع البويرحروب متتالية نجحت في دفعهم داخل افريقيا ، وعملت على استقدام الأنكليز لاستيطان جنوب افريقيا ، وعملت على سلب الأفارقة أراضيهم ومواردهم وعزلهم في أماكن ضيقة ، واستيطان المساحات الكبيرة والأراضي الخصبة .
- أزدادت أهمية جنوب افريقيا بعد اكتشاف الذهب والماس وعملت شركة جنوب افريقيا على استغلال الموارد الطبيعة والبشري لصالحها ، واكتسبت من جراء تلك العمليات اموالاً طائلة اسهمت في تحقيق التقدم الحضاري والعمراني لانكلترا ومستعمراتها ، كما عمل المستعمرون في جنوب افريقيا على احتكار الوظائف والصناعات والأراضي وجميع النواحي التعليمية والصحية لهم ، واصبحت الاراضي الزراعية لاتستوعب السكان الافارقة .
- حوصر السكان الأفارقة الأصليين في مناطق متدنية الجودة ، وفي المناطق الداخلية ، مما أدى الى هجرتهم للعمل في المناجم والتعدين وعبيد عند الاوروبيين، ثم مالبثت أن تحولت سياسة البريطانيين اتجاه الأفارقة الى سياسية التميز العنصري ، التي ظل الأفارقة يعانون منها إلى تسعينات القرن العشرين.

الهوامش

(١)هاشم صالح التكريتي ، الاستعمار (اشكاله تطوراته اساليبه) ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٩، ص ١١ – ١٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥-١٦.

(٣) ر.ج . هاريسون تشرش ، الاستعمار الحديث ، ترجمة : دولت احمد صادق ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٠٨-١١١.

(٤) ر.ج . هاريسون تشرش ، المصدر السابق ، ص١٢٦.

(٥) فادية جمعة اسماعيل ، تجارة الرقيق في شرق افريقيا والخليج العربي (١٨٢٠ ــ ١٩١٤) ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد ، كلية التلربية للبنات ، ٢٠١٦، ص٣٩-٤٥.

(٦) اشرف صالح محمد ، الاستعمار الاوروبي وجريمة التجارة بالإنسان الافريقي ، مجلة قراءات افريقية ، العدد١٩ ، ٢٠١٤، ص٦٨.

(٧) فادية جمعة اسماعيل ، المصدر السابق ، ص٤٥-٤٧.

(٨) اشرف صالح محمد ، المصدر السابق، ص٦٩.

(٩) دونالد وديرنر ، تاريخ افريقيا (جنوب الصحراء) ، ترجمة : راشد البراوي ، مكتبة الوعي العربي ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

(١٠) فادية جمعة اسماعيل ، المصدر السابق ، ص٤٧-٤٩.

(١١) جلال يحيي ، الاستعمار والاستغلال والتخلف ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٢٩٩.

(١٢) اشرف صالح محمد ، المصدر السابق ، ص٧٠.

(١٣) محمد صفي الدين ، المصدر السابق ، ص ٨١-٨٢.

(١٤) اشرف صالح محمد ، المصدر السابق ، ص٧٠.

(١٥) محمد صفي الدين ، افريقيا بين الدول الاوروبية ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ص ٨٤-٨٥.

(١٦) جون نيف ، الحرب والتقدم البشري (دراسة في نشأة الحضارة الصناعية) ، ج ٢ ، ترجمة : محمد عبد المجيد واخرون ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص ٣٦٣ -٣٦٤.

(١٧) محمد متولي ، رأفت الشيخ ، افريقيا في العلاقات الدولية ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص٨٤.

(١٨) جون نيف ،المصدر السابق ، ص ٣٦٤.

(١٩) جون نيف ، المصدر السابق ، ص٣٧٥-٣٧٩.

(٢٠) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق، ص٢٤-٢٥ .

(٢١) جون نيف ، المصدر السابق، ص٣٧٩ -٣٨٦.

(٢٢) المصدر نفسه ، ص٣٨٦.

(٢٣) جمال هاشم ذويب ، التطورات الاقتصادية وأثرها في تحديد مبادئ وتوجهات السياسة الخارجية البريطانية١٨٧٠-١٩١٤، مجلة آفاق تاريخية ، إصدار الجمعية التاريخية العربية الليبية، العدد الثاني، ليبيا ، ١٩٩٧، ص١٧٥.

(٢٤) علي صدام صحن الساعدي، التغلغل البريطاني في شرق افريقيا (دراسة تاريخية في سكة حديد مومباسا- فكتوريا ١٨٨٨-١٩٢٠) ، دار ضفاف للطباعة والنشر ، بغداد،٢٠١٢ ، ص٢٧-٢٨.

(٢٥) زاهر رياض ، استعمار افريقيا ، دار القومية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص١٢٦.

(٢٦) عبد الامير محمد امين، دراسات في النشاط التجاري والسياسي الاوربي في اسيا (١٦٠٠-١٨٠٠) ، عمان، ١٩٨٧، ص٣٢.

(٢٧) زاهر رياض ، المصدر السابق ، ص ١٩١ ــ ١٩٣ .

(٢٨) محمد علي القوزي ، دراسات في تاريخ افريقيا الحديث المعاصر ، دار النهضة العربية ، د.ت ، ص ١٤ ٠

(٢٩) محمد متولي ، رأفت الشيخ ،المصدر السابق ، ص٩٩ ٠

(٣٠) محمد علي القوزي ، المصدر السابق ، ص ١٤ ٠

(٣١) محمد متولي ، رأفت الشيخ ، المصدر السابق ، ص٨٤ .

(٣٢) محمد صادق اسماعيل ، تجربة جنوب افريقيا (نيلسون مانديلا والمصالحة الوطنية) ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٤ ، ص ١١.

(٣٣) محمد صفي الدين ، المصدر السابق ، ص ١٢٦.

(٣٤) احمد نجم الدين فليجة ، افريقية (دراسة عامة اقليمية) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٧٨ ، ص ٥٤٧.

(٣٥) دونالد ويدنر ، المصدر السابق ، ص ١٧٤.

(٣٦) احمد نجم الدين فليجة ، المصدر السابق ، ص ٥٤٧.

(٣٧) كاظم هيلان محسن ، غاندي وسياسة الساتيا كراها (اللاعنف) في جنوب افريقيا (١٨٩٣ ــ ١٩١٤) ، مجلة اداب البصرة ، العدد ٧٠ ، ٢٠١٤ ،ص ١٧٩ ــ ١٨٠ .

(٣٨) هي الجمهورية التي أقامها الشعب الباتافي في هولندا ، خلال المدة (١٧٩٥-١٨٠٦) كدولة تابعة لفرنسا : شبكة الانترنت ،

w.w.w.ar.m.wikipedia.org

(٣٩) هو المؤتمر الذي عقدته مجموعة الدول الاوروبية في النمسا ، للفترة من ايلول عام ١٨١٤ ، الى حزيران عام ١٨١٥، لتسوية جميع القضايا الناتجة عن الحروب النابلونية ، وتم خلاله إعادة رسم الخارطة السياسية للقارة الأوروبية ، للمزيد ينظر : العنود مطلق المطيري ، مؤتمر فينا ١٨١٤-١٨١٥ ، بحوث كلية الاداب (مجلة)، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٧ ، ص٢٣١٩-٢٣٣٧.

(٤٠) عقيل جعيز شمخي ، سياسة التميز العنصري في اتحاد جنوب افريقيا (١٩١٠ ــ ١٩٦٢) ، دار الفراهيدي ، بغداد ، ٢٠١٣ ، ص٦٨ .

(٤١) دونالد ويدنر ، المصدر السابق ، ص ١٧٤

(٤٢) جديون س . وير ، تاريخ جنوب افريقيا ، ترجمة : عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، دار المريخ ، الرياض ، د.ت ، ص ٥٩ ــ ٦١.

(٤٣) لطفي جعفر فرح ، سياسة التميز العنصري في جنوب افريقيا وموقف العراق منها معهد الدراسات الاسيوية ،جامعة المستنصرية ، بغداد ، د. ت ، ص٧.

(٤٤) نبراس بلاسم كاظم ، المهاتما غاندي ودوره في جنوب افريقيا والهند (١٨٦٩ ــ ١٩١٨) رسالة ماجستير، (غير منشورة) ،الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ،٢٠١٠ ، ص ٦٢ ــ ٦٣.

(٤٥)عقيل جعيز شمخي ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ــ ٧٠.

(٤٦) ب . س . لويد ، افريقيا في عصر التحول ، ترجمة : شوقي جلال ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، ١٩٨٠، ص ٥٨.

(٤٧) جديون . سي . وير، المصدر السابق ، ص ٦٩ .
(٤٨) محمد متولي ، رأفت الشيخ ، المصدر السابق ، ص١١٤.
(٤٩) جديون . سي .وير، المصدر السابق ، ص ٦٩-٧٠ .
(٥٠) محمد صادق اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ٣٢ – ٣٣.
(٥١) محمد رياض وكوثر عبد الرسول ، افريقيا ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط٢ ١٩٧٣، ص٥٣ .
(٥٢) زاهر رياض ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ – ١٩٧.
(٥٣) محمد رياض ، كوثر رسول ، المصدر السابق ، ص٥٥.
(٥٤) سُمي المشروع نسبة الى مدير المستعمرات البريطاني الفرد ملنر (١٨٥٤-١٩٢٥) ، سياسي بارز وشخصية محورية في الاحداث التي أدت الى حرب البوير الثانية (١٨٩٩-١٩٠٢) ، واشتهر بإشرافه على جميع الاعضاء الشباب بالخدمة المدنية في جنوب افريقيا ؛ شبكة الانترنت ،

w.w.w.ar.m.wikipedia.org

(٥٥) محمد متولي ، رأفت الشيخ ، المصدر السابق ، ص١١٤.
(٥٦) محمد رياض ، كوثر رسول ، المصدر السابق ، ص٥٥.
(٥٧) محمد صفي الدين ، المصدر السابق ، ص١٣٥.
(٥٨) محمد صادق اسماعيل ، المصدر السابق ، ص٣٦-٣٧.
(٥٩) المصدر نفسه ، ص ٣٧ – ٣٨.
(٦٠) لطفي جعفر فرح ،المصدر السابق ، ص١٤.
(٦١) محمد صادق اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ٢٨.
(٦٢) لطفي جعفر فرح ،المصدر السابق ، ص١٩-٢١.
(٦٣) محمد صادق اسماعيل ، المصدر السابق ، ص٣٩-٤٢.
(٦٤) محمد علي القوزي ، المصدر السابق ، ص ١١٠.
(٦٥) عقيل جعيز شمخي ، المصدر السابق ، ص٨٦-٨٩.
(٦٦) محمد متولي ، رأفت الشيخ ، المصدر السابق ، ص ١١٥.
(٦٧) محمد علي القوزي ، المصدر السابق ، ص ١١٠.
(٦٨) جديون . سي . وير ، المصدر السابق ، ص ٧٧.
(٦٩) محمد علي القوزي ، المصدر السابق ، ص ١١١.
(٧٠) عقيل جعيز شمخي ، المصدر السابق ، ص١٢٨-١٢٩.
(٧١) المصدر نفسه ، ص١٢٣-١٢٤.
(٧٢) المصدر نفسه ، ص١٢٥-١٢٦.
(٧٣) لطفي جعفر فرج ، المصدر السابق ، ص ٨.
(٧٤) عقيل جعيز شمخي ، المصدر السابق ، ص١٢٦-١٢٧.

(٧٥) مها عبد اللطيف ، المجتمع الدولي والتحول السياسي في جنوب افريقيا في عام ١٩٩٩ ، مجلة دراسات دولية ، العدد ٣١ – ٣٢ ، ٢٠٠٦ ، ص ٦٩ – ٧٠.

(٧٦) لجنة حقوق الانسان في الامم المتحدة ، الاضطهاد والتميز العنصري في افريقيا الجنوبية ، مطبعة اطلس ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٨ .

(٧٧) كاظم هيلان محسن ، المصدر السابق ، ص ١٨١ .

(٧٨) لجنة حقوق الانسان ، المصدر السابق ، ص ٨ .

(٧٩) مها عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٨٠) لطفي جعفر فرج ، المصدر السابق ، ص ٨.

(٨١) هاشم صالح التكريتي ، المصدر السابق ، ص٤٢ .

(٨٢) محمد صادق اسماعيل المصدر السابق ص ٣٦

(٨٣) جديون . سي .وير ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٨٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٨٥) عقيل جعيز شمخي ، المصدر السابق ، ص١٣٢-١٣٣.

(٨٦) لطفي جعفر فرج ،المصدر السابق ، ص ٨ .

(٨٧) عقيل جعيز شمخي ، المصدر السابق ، ص١٣٤-١٣٥.

المصادر :-

اولاً:- الكتب العربية والمترجمة

١- احمد نجم الدين فليجة ، افريقية (دراسة عامة اقليمية) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٧٨.

٢- ب . س . لويد ، افريقيا في عصر التحول ، ترجمة : شوقي جلال ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، ١٩٨٠.

٣- دونالد وديرنر ، تاريخ افريقيا (جنوب الصحراء) ، ترجمة : راشد البراوي ، مكتبة الوعي العربي ، القاهرة ، ٢٠٠١ .

٤- زاهر رياض ، استعمار افريقيا ، دار القومية للطباعة ، القاهرة ،١٩٦٥ .

٥- جديون س . وير ، تاريخ جنوب افريقيا ، ترجمة : عبد الرحمن عبدالله الشيخ ، دار المريخ ، الرياض ، د.ت.

٦- جلال يحيي ، الاستعمار والاستغلال والتخلف ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٥.

٧- جون نيف ، الحرب والتقدم البشري (دراسة في نشأة الحضارة الصناعية) ، ج ٢ ، ترجمة : محمد عبد المجيد واخرون ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٩١.

٨- ر.ج . هاريسون تشرش ، الاستعمار الحديث ، ترجمة : دولت احمد صادق ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، د.ت .

٩- عبد الامير محمد امين، دراسات في النشاط التجاري والسياسي الاوربي في اسيا(١٦٠٠-١٨٠٠)، عمان، ١٩٨٧.

١٠- عقيل جعيز شمخي ، سياسة التميز العنصري في اتحاد جنوب افريقيا (١٩١٠ ـ ١٩٦٢) ، دار الفراهيدي ، بغداد ، ٢٠١٣ .

١١- علي صدام صحن الساعدي، التغلغل البريطاني في شرق افريقيا (دراسة تاريخية في سكة حديد مومباسا-فكتوريا ١٨٨٨-١٩٢٠) ، دار ضفاف للطباعة والنشر ، بغداد،٢٠١٢.

١٢- لطفي جعفر فرح ، سياسة التميز العنصري في جنوب افريقيا وموقف العراق منها معهد الدراسات الاسيوية ،جامعة المستنصرية ، بغداد ، د. ت .

١٣- لجنة حقوق الانسان في الامم المتحدة ، الاضطهاد والتميز العنصري في افريقيا الجنوبية ، مطبعة اطلس ، القاهرة ، ١٩٦٩.

١٤- محمد متولي ، رأفت الشيخ ، افريقيا في العلاقات الدولية ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

١٥- محمد علي القوزي ، دراسات في تاريخ افريقيا الحديث المعاصر ، دار النهضة العربية ، د.ت .

١٦- محمد رياض وكوثر عبد الرسول ، افريقيا ، دار النهضة العربية ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٣.

١٧- محمد صادق اسماعيل ، تجربة جنوب افريقيا (نيلسون مانديلا والمصالحة الوطنية) ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٤ .

١٨- محمد صفي الدين ، افريقيا بين الدول الاوربية ، دار مصر للطباعة ، القاهرة.

١٩- هاشم صالح التكريتي ، الاستعمار (اشكاله تطوراته اساليبه) ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٩.

ثانياً:-الرسائل والاطاريح

١- فادية جمعة اسماعيل ، تجارة الرقيق في شرق افريقيا والخليج العربي (١٨٢٠ ـ ١٩١٤) ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد ، كلية التلربية للبنات ، ٢٠١٦.

٢- نبراس بلاسم كاظم ، المهاتما غاندي ودوره في جنوب افريقيا والهند (١٨٦٩ – ١٩١٨) رسالة ماجستير، (غير منشورة) ،الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ،٢٠١٠

ثالثاً:- البحوث المنشورة

١- اشرف صالح محمد ، الاستعمار الاوربي وجريمة التجارة بالإنسان الافريقي ، مجلة قراءات افريقية ، العدد١٩ ، ٢٠١٤ .

٢- العنود مطلق المطيري ، مؤتمر فينا ١٨١٤-١٨١٥ ، بحوث كلية الاداب (مجلة)، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٧

٣- جمال هاشم ذويب ، التطورات الاقتصادية وأثرها في تحديد مبادئ وتوجهات السياسة الخارجية البريطانية١٨٧٠-١٩١٤، مجلة آفاق تاريخية ، إصدار الجمعية التاريخية العربية الليبية، العدد الثاني، ليبيا ، ١٩٩٧.
٤- كاظم هيلان محسن ، غاندي وسياسة الساتيا كراها (اللاعنف) في جنوب افريقيا (١٨٩٣ ـ ١٩١٤) ، مجلة اداب البصرة ، العدد ٧٠ ، ٢٠١٤.
٥- مها عبد اللطيف ، المجتمع الدولي والتحول السياسي في جنوب افريقيا في عام ١٩٩٩ ، مجلة دراسات دولية ، العدد ٣١ – ٣٢ ، بغداد ،٢٠٠٦.

رابعاً : شبكة الانترنت

w.w.w.ar.m.wikipedia.org